المجلة الأردنية للتاريخ والآثار
المجلّد ٩، العدد ١، ٢٠١٥م

"وادي الخوابي" موقع جديد لعصور ماقبل التاريخ جنوب سورية

أمل القاسم *

ملخص

يتناول البحث دراسة نمطية وتقنية لمجموعة الأدوات الحجرية المكتشفة حديثاً في موقع وادي الخوابي على الحدود السورية – الأردنية جنوبي سورية، ومن خلال هذه الدراسة سيتم تمييز أهم الصناعات الحجرية العائدة للعصر الحجري القديم، والتي شهدتها المنطقة على مر العصور، حيث تعد المنطقة الجنوبية في سورية إلى وقتنا هذا شديدة الفقر بالدراسات المتعلقة بعصور ما قبل التاريخ، لذلك يمكن اعتبارها خطوة أولى للخوض في وضع تسلسل زمني واضح للتعريف بالمنطقة. كما يبين البحث من خلال المقارنات مع مواقع شمال وشمالي شرقي الأردن الأقرب جغرافياً لموقع وادي الخوابي، أهميّة المنطقة كإحدى البوابات الرئيسة، التي انتقل عبرها الإنسان القديم إلى شمال ووسط سورية، تاركاً خلفه العديد من الشواهد التي طُمر جزء منها نتيجة تركم الحمم البركانية، التي تعرضت لها المنطقة مع مرور الزمن.

الكلمات الدالة: وادي الخوابي، العصر الحجري القديم، دراسة نمطية وتقنية.

المقدمة

كُشف موقع وادي الخوابي، العائد للعصر الحجري القديم (Paleolithic) حديثاً في منطقة جنوب درعا، وذلك في أثناء المسح الأثري الذي قامت به جامعة دمشق/قسم الآثار، بالتعاون مع دائرة آثار درعا شتاء عام ٢٠١٠م، وجاء هذا البحث، ليعزز قائمة المواقع الأثرية في سورية، ضمن منطقة شهدتْ على مر السنين فقراً شديداً في تنقيبات ودراسات عصور ماقبل التاريخ. حيث جُمع خلال المسح الأثري ما يزيد على ١٢١٢ أداة، مُيّز من بينها ١٤٤ أداة حجرية التقطت من موقع وادي الخوابي. وقد ارتكزت دراسة الأدوات الحجرية في هذا البحث على جانبين أساسيين: الأول هو الدراسة النمطية، التي تعتمد على تحديد أنماط أدوات العصر الحجري القديم الأدنى، من خلال قائمة بورد (Bords)، ذات الانتشار الأوسع في هذا المجال، والثاني هو الدراسة التقنية، التي يمكن من خلالها تحديد التقنية التي استخرجت الأدوات وفقها، وكذلك الاعتماد على المقاييس التي وضعها بورد ضمن هذه التقنية كالطول والعرض والسماكة، حيث تسمح بتصنيف الأدوات، ونسبها إلى ثقافة معينة (بورد ٢٠٠٩: ٥٨)، إضافة إلى تصنيف كوبلاند الذي حُدّدت فيه ثلاث مراحل للثقافة اللفلوازية – الموستيرية اعتماداً على طبقات الطابون D-C-B (Copeland. L 1975)، وبالتالي

* المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للبحث العلمي والتدريب الأثري، سورية. تاريخ استلام البحث ٢٠١٤/٩/٤م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠١٥/٦/٤م.

© ٢٠١٥ عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

حصر النتائج بحسب التسلسل الزمني للعصر الحجري القديم.

الإطار الجغرافي والجيولوجي

يقع وادي الخوابي في محافظة درعا الخريطة(١)، ضمن الإقليم الجنوبي الغربي من سورية، والذي يعدّ بدوره جزءاً من حفرة الانهدام الآسيوية–الإفريقية (Rift Valley) الممتدة من البحر الأحمر جنوباً مروراً بالبحر الميت، فوادي عربة، ثم وادي الأردن، يليه وادي الليطاني، وبعده وادي العاصي، وانتهاءً بوادي عفرين ومنطقة العمق شمالاً (محيسن وأكازاوا ٢٠٠٢: ٨)، ونظراً لسيادة الصبات والاندفاعات البركانية على معظم مساحته، فإنه يمكن تسميته بالإقليم الجنوبي البركاني (عبد السلام ١٩٩٠: ٣٢٩)، ليتخذ بذلك شكلاً متطاولاً، وممراً طبيعياً محصوراً بين جبال الجولان غرباً وجبل العرب شرقاً، بحيث يمتد من الشمال باتجاه الجنوب حتى الحدود الأردنيّة ووادي اليرموك وروافده العليا، ليقدم سطح الإقليم الطبوغرافي سهلاً منبسطاً مموجاً، تقلُّ فيه فروق الارتفاع، بحيث لا تتجاوز بضع عشرات من الأمتار، وترتفع فوق هذا السهل بعض المرتفعات المكونة من الجبال والتلال، مثل تل الشعار ١١٣٧م (عبد السلام ١٩٩٠: ٤٣٤).

أما **وادي الخوابي** الخريطة (١) فهو عبارة عن شُعيب ينحدر من المرتفعات الواقعة على جانبي الحدود السوريّة الأردنية المشتركة جنوباً. ويصب هذا الوادي الصغير في وادي الزيدي،على مقربة من مركز مدينة درعا من الجهة الجنوبية، إذ يعدّ وادي الزيدي القادم من لحوف جبل العرب غرباً والذي تكثر فيه التعرجات، المجرى المائي الأكبر في درعا، حيث يمر في العديد من المناطق قبل أن يدخل مدينة درعا، ليقسمها إلى شطرين وينتهي عند قرية زيزون، وهناك تتحول تسميته إلى وادي اليرموك. يقع الوادي ضمن أراضي مزروعة بأشجار الزيتون، حيث كثرت زراعتها خلال العقدين الأخيرين. الصورة (١)، وتوجد على أطراف الوادي ارتفاعات شبه جبلية متصلة تشكل مصرفاً لمياه الأمطار، وقد تراوحت ارتفاعاتها بين ٥٥٤–٦٢٠م فوق سطح البحر، ويتميز الموقع بانتشار خامات الصوان فيه بشكل كثيف (دياب ٢٠١١م: ١٣).

تطور البحث في درعا

تعدّ منطقة حوران من أفقر المناطق السوريّة في تنقيبات ودراسات ماقبل التاريخ والشرق القديم، وعلى الرغم من غنى المنطقة بمواقع ماقبل التاريخ، فقد اقتصرت الدراسات والأبحاث الأثرية في المنطقة على العصور الكلاسيكية والاسلامية، مقارنةً مع الدراسات والتنقيبات ذات الكم الهائل في المناطق السوريّة الأخرى.

ظهر أول الأدلة على وجود ثقافات العصر الحجري القديم خلال المسح الذي قام به الباحث الفرنسي جوزيف نصر الله J.Nasrallah في وادي اليرموك، حيث عثر على فؤوس حجرية نسبها إلى الآشولي الأدنى (محيسن ١٩٩٧م: ٤٥)، وقام كل من غريدل Gridel، ثم بوليو Beaulieu،

وبعده فان ليره Van Liere في أربعينات القرن الماضي بمسح شامل في منطقة جبل العرب، نسب البعض منها إلى العصر الحجري القديم الأعلى (محيسن ١٩٩٧م: ٤٥). كما قامت ماري كلير كوفان M.C.Cauvin عام ١٩٦٢م بتنقيبات في قرية الطيبة على الضفة اليسرى لوادي الزيدي، في محافظة درعا، أظهرت من خلالها أن الموقع يمثل معسكراً صغيراً ومؤقتا كانت قد سكنته جماعة نطوفية (Cauvin. M 1973: 106).

كما كان لكل من سلطان محيسن، وبول سانلافيل P. Sanlaville، وجاك بيزانسون J. Besançon في ثمانينات القرن الماضي دور آخر في كشف النقاب عن أدوات حجرية، هي عبارة عن قواطع وشظايا متآكلة في منطقة زيزون غرب مدينة درعا، وتحمل كمخة• (باتينا Patina) قديمة تشبه أدوات مصدرها حوض العاصي أُرخت على حوالي نصف مليون سنة خلت، كما نسب فرانسيس أور F. Hours أدوات حجرية وجدت في وادي الزيدي واليرموك في ثمانينات القرن الماضي إلى العصر الحجري القديم الأوسط، أو ما يعرف باللفلوازي – الموستيري (محيسن ١٩٩٧م: ٤٢).

وكانت دائرة آثار درعا قد أجرت مسحاً أثرياً في منطقة الغمر لسد الوحدة على نهر اليرموك، قرب الحدود السوريّة الأردنيّة عام ٢٠٠٢م، من قبل لجنة مركزيّة مؤلفة من (انطوان سليمان، وقاسم المحمد، ومحمد الرفاعي) أثبتت وجود أدوات حجرية نسبت إلى العصر الحجري القديم، في منطقة سد الوحدة (سليمان. المحمد. الرفاعي ٢٠٠٢م: ٢)، كما أُجري في منطقة الميسري جنوبي شرقي درعا مسحٌ أثريٌّ عام ٢٠٠٣م، من قبل الباحث ياسر أبو نقطة، جمع خلاله العديد من الأدوات الحجريّة التي تمثل ثقافات العصر الحجري القديم، وعلى أثر تلك الاكتشافات قام بالتنقيب في الموقع عام ٢٠٠٤م ليكتشف خلاله العديد من النقوش الصخرية، التي تمثل العصر الحجري الحديث (أبو نقطة ٢٠١: ٥).

إضافة إلى هذه المواقع، قام قسم الآثار بجامعة دمشق (أحمد دياب، وسعيد الحجي، وأمل القاسم)، بالتعاون مع دائرة آثار درعا (ياسر أبو نقطة)، عام ٢٠١٠م، بإجراء مسح أثري في مناطق جنوب درعا، شمل ثلاث مناطق (وادي شرار، ووادي الخوابي، وخربة شياح)، حيث تم العثور على العديد من الأدوات الحجريّة، التي جاءت لتثبت أهمية المنطقة من حيث غناها بثقافات العصر الحجري القديم (دياب ٢٠١١م: ٥).

دراسة الأدوات الحجرية في وادي الخوابي

جُمع خلال المسح الأثري لمواقع جنوب درعا ١٢١٢ أداة، مُيّز من بينها ١٤٤ أداة، تعود إلى موقع وادي الخوابي، وهي عبارة عن أدوات سطحية، بقيت عرضةً للتغيرات الجيولوجية والبشرية، نتيجةً وجودها ضمن أراضٍ زراعية، كان العمل البشري مستمراً فيها طوال الأعوام. وتختلف مواقع

• الكمخة: هي عبارة عن طبقة تظهر على الصوان مع مرور الزمن، وذلك بسبب التفاعلات الكيميائية والمعادن داخل الصوان أي تتشكل حسب طبيعة الصوان وظروف توضعه، فمنه ما هو معرض لأشعة الشمس، ومنه ما هو مطمور بالتراب، وبالتالي فإنّها تختلف حسب توضع الصوان

الباليوليت في درجة حفظها، وسلامة بقاياها، سواء أكانت مكشوفة، (بهذه الحالة تكون آثارها معرضة للخراب بفعل العوامل الطبيعية ونادراً ماتكون سليمة)، أم مغاور وملاجئ، (وبذلك تكون أكثر حفاظاً على آثارها كونها بعيدة عن كل ما تسببه عوامل الطبيعة من تخريب في محتوياتها الأثريّة).

لقد جاب انسان ماقبل التاريخ مساحات شاسعة من الأرض بحثاً عن المواد الأولية لاستغلالها في تصنيع أدواته، حيث قام باصطفاء المادة الأكثر ملاءمة ووفرة من أجل تصنيع أدواته، ويعدّ الصوان• في موقع وادي الخوابي، المادة الخام الرئيسة، التي استخدمها في تقنيات التصنيع، حيث يوجد بكثافة ملحوظة الصورة (٢)، وعلى شكل كتل صوانيّة متداخلة في الأرض، إضافة لكونه يتميز بصلابته، وكذلك فعاليته في الاستخدامات اليوميّة. يصنف الصوان في وادي الخوابي، بأنّه من النوع النقي والمتجانس القابل لعملية الطرق بشكل جيد، وقد تباين الصوان في ألوانه مابين البني ومشتقاته، البيج، والرمادي الغامق (القاسم ٢٠١٣م: ٧٦).

وظهرت الكمخة على عدد كبير من الأدوات، وبشكل كثيف على بعضها، مما حال دون فحصها بشكل جيد، خاصة على الأدوات الآشولية، ربما لكونها تعرضت للعوامل الطبيعية فترة زمنية أطول، حيث كانت عاملاً أساسياً بحدوث التفاعلات الكيميائية داخل الصوان لتظهر طبقة الكمخة، وقد تباين لونها مابين اللون الرمادي والأبيض. الصورة (٣). جاءت أدوات وادي الخوابي مكسرة بشكل واضح، وبلغت نحو ٣٩,٨% من إجمالي العدد الكلي، وربما يعود السبب في ذلك الى وقوعها على ضفة وادٍ سيلي، وبالتالي فإنّها في تحرك دائم في أثناء جريان المياه عبر السنين، وربما لكون الموقع قائماً على أرض زراعية، والعمل الزراعي فيها مستمر على مدار السنة، وبذلك تتأثر الأدوات بفعل ضربات الجرار والمعاول على مر السنين (القاسم ٢٠١٣م: ٧٨).

ثقافات الباليوليت في وادي الخوابي

بعد دراسة الإطار الجغرافي والجيولوجي للمنطقة، يتّبين لنا أنّ إقليم حوران بشكل عام، شهد تغيرات جيولوجية عبر الزمن، إذ تغطي الحمم البركانية الجزء الأكبر من إقليم حوران، باستثناء بعض المناطق التي تظهر فيها الصخور الرسوبية، وذلك قرب الحدود الأردنية في جنوب درعا (وادي الخوابي)، وترجع أقدم الصخور الموجودة في المنطقة إلى عصر الباليوجين Paleogene (عبد السلام ١٩٩٠م: ٤٣٧)، وبناءً على ذلك، كانت دلائل ثقافة الآشولي الأوسط، هي أقدم الشواهد على وجود الانسان القديم في المنطقة، وقد تكون الحمم البركانية العامل الأساس وراء اختفاء العديد من المواقع الباليوليتية المهمة في المنطقة، كمواقع (ثقافة الألدوان أو مواقع ثقافة الآشولي القديم) (

• الصوان: صخر رسوبي سيليكي، يتشكل من ترسبات وتخثرات سيليكية في داخل طبقات الكلس على شكل عقد أو طبقات. يتميز الصوان بصلابته ويتشكل داخل الماء سواء مياه البحر أم المياه العذبة، وتدخل في تشكيله بعض المواد العضوية، حيث يتميز الصوان الذي يتشكل في مياه البحر باحتوائه على عدد كبير من البقايا الصغيرة لكائنات حية متحجرة كالكائنات الوحيدة الخلية التي يمكن رؤيتها بالمجهر، أما الصوان المتشكل في المياه العذبة كالبحيرات فتكون ألوانه فاتحة وبنيته غير منتظمة لأنه يحتوي على نسبة أكبر من المعادن (القاضي، أمجد)

محيسن ١٩٩٧م: ٤٣).

بلغ عدد الأدوات المدروسة في موقع وادي الخوابي ١٤٤ أداة، صنفت على النحو الآتي: نُسب مايقارب ٨,٣٣% من إجمالي الأدوات إلى العصر الحجري القديم الأدنى (الثقافة الآشولية Acheulian culture)، بينما بلغت نسبة أدوات العصر الحجري القديم الأوسط (الثقافة اللفلوازية – الموستيرية Levalloisian – Mousterian Culture) نحو ٩١,٦٦% (منها ٦٤,٥٨% أدوات مصنعة على شظايا، و٢٧,٠٨% نوى)

الآشولي الأوسط Middle Acheulian

يؤرخ الآشولي الأوسط إلى عصر البليستوسين الأوسط أي نحو ٧٠٠.٠٠٠ سنة خلت، وهو القسم الثاني من العصر الحجري القديم الأدنى (Hours 1980 : 169).

أُجريت دراسات خجولة في منطقة درعا، في ثمانينات القرن الماضي، وقد أشار الدكتور سلطان محيسن فيها إلى وجود الآشولي الأوسط في وادي زيزون، لكن دون تفاصيل تذكر، ومن خلال العديد من الأبحاث الجديدة، وأحدثها أطروحة لنيل درجة الماجستير للباحثة بعنوان "مواقع العصر الحجري القديم جنوب درعا"، تبين أن الآشولي الأوسط، هو أقدم عصر يمثله موقع وادي الخوابي، حيث عثر فيه على العديد من الفؤوس اليدوية، التي حملت صفات نمطية وتقنية، تُظهر تشابهاً كبيراً مع فؤوس الإقليم الداخلي في بلاد الشام، ذات النمط المتطاول Elongated الشكل (١)، إذ صنعت بالمطرقة الحجرية القاسية، نتيجة الطرق مباشرةً على الكتلة، باستخدام مطارق حجرية قاسية من صخور أخرى، كالصوان والبازلت• والكوارتزيت•، حيث أزالت شظايا عريضة وسميكة، تاركة نُدباً عميقة على وجهي الأداة، ناتجة عن عملية التشكيل (Façonnage)، التي تشبه عملية النحت حسب الشكل المطلوب، للحصول على أداة واحدة رئيسية من المادة الأولية.

كما لوحظ أنّ القشرة لازالت تغطي جزءاً من الأداة ذات الحواف المتعرجة غير المنتظمة الشكل، والناتجة عن المرحلة الثانية في عملية تشكيل الفأس اليدوي، والتي تهدف إلى إعطائها شكلاً منتظماً لحواف القطعة من خلال إعطائها أيضاً شكلاً متوازناً، وتشابه عملية الرتوش إلى حدٍ ما، فهي تعطي الشكل النهائي للقطعة، كإبراز الحد والحربة أو القاعدة، أما بالنسبة لشكل الرأس فقد لُوحظ تباين في شكله الذي بدا ما بين المستقيم والمدور الشكل، وقد ظهر أكبرها حجماً بأبعاد (١٦,٦ × ٩ × ٥,٢ سم)، وهذا الحجم عادةً ما نراه في الفؤوس اليدويّة المنسوبة للآشولي الأوسط. وقد دفعتنا كل هذه الصفات لنسب الفؤوس اليدويّة إلى الآشولي الأوسط أو مايسمى (نموذج اللطامنة) (القاسم ٢٠١٣: ٧٥).

• البازلت: صخر ماغماتي بركاني أسود اللون، ينشأ من الماغما التي تتبرد بسرعة عند تعرضها للماء أو الهواء. استخدم البازلت في عصور ماقبل التاريخ لتصنيع الأدوات الثقيلة (أمجد القاضي)

• الكوارتزيت: صخر سيليكي متراص، مكون من بلورات الكوارتز، وهو ذو سمة زيتية وألوان فاتحة، استخدم بشكل كبير في تصنيع الأدوات في أوروبا (أمجد القاضي)

الآشولي الأعلى Upper Acheulian

يؤرخ بين ٤٠٠,٠٠٠ – ٢٥٠,٠٠٠ سنة خلت، وهو القسم الثالث من العصر الحجري القديم الأدنى، أضاف إنسان الهوموراكتوس في هذا العصر ابتكارات جديدة، لكن الفؤوس اليدويّة بقيت حتى هذا العصر تلعب الدور الرئيس، وتحتل المكانة الأولى بين مجمل أنواع الأدوات الأخرى، فكانت أكثر دقة وتنوعاً (Hours 1980: 173)

جاءت أدوات الآشولي الأعلى في موقع وادي الخوابي أكثر عدداً من فؤوس الآشولي الأوسط، فقد عثر على ١١ فأساً يدوياً لم تتخذ شكلاً واحداً، وإنّما تباينت أشكالها مابين اللوزية Amygdaloid واللوزية القصيرة الشكل (٢)، القلبية Cordiform، البيضوية Oval، والبيضوية المتطاولة كما في الشكل(٣)، مع هيمنة واضحة للفؤوس اللوزية واللوزية القصيرة (القاسم قيد النشر: ١١)، وكما ذُكر سابقاً فجميعها صنعت من الصوان ذي اللون الرمادي الغامق، والموجود في الموقع بكثافة واضحة، على شكل عروق متداخلة في الأرض، وقد صنعت نتيجة الطرق المباشر بواسطة المطرقة الحجرية الطرية، في مرحلة التشكيل الأولى، وذلك بالنظر إلى وجود ندبات صغيرة على وجهي الأدوات (القاسم قيد النشر: ١٢).

ظهرت أغلب الفؤوس اليدوية مكسرة الرأس، بفعل ضربات الجرار والمعاول على مر السنين، لأن الموقع قائم على أرضٍ زراعية. كما لوحظ أن أغلب الفؤوس اليدوية لازالت تحمل القشرة على وجهها، ولكن بشكل جزئي، الشكل (٦). وقد ظهرت حوافها أكثر استقامة من فؤوس الآشولي الأوسط، ولا تكاد تخلو من آثار الاستخدام. بلغ متوسط أبعاد فؤوس الآشولي الأعلى في وادي الخوابي ١٠.٥×٧.٣×٣.٣ سم، كما غطت الكمخة وجهي الفؤوس اليدوية لكن بشكل متفاوت، إذ تباينت ألوانها مابين الرمادي، وهو اللون الغالب، والأبيض المائل إلى الرمادي، وكذلك البيج، أما بالنسبة للون البني، فمن الممكن أن يكون عبارة عن صدأ تشكل بفعل العوامل الجوية على مر السنين (القاسم قيد النشر: ١٣)، والناتجة عن تفاعل مادة السيليكا الموجودة داخل الصوان مع أكاسيد الحديد (أمجد القاضي ٢٠١٤م: ٢٢٢).

العصر الحجري القديم الأوسط (الثقافة اللفلوازية – الموستيرية)

تؤرخ الثقافة اللفلوازية– الموستيرية إلى نحو ٢٠٠.٠٠٠– ٣٥.٠٠٠ سنة خلت، حيث ظهر نوع جديد من البشر، هو إنسان النياندرتال حاملاً معه ثقافة جديدة، وهي الثقافة الموستيريّة أو اللفلوازيّة– الموستيريّة (محيسن ١٩٨٩م: ٩٧). شهد هذا العصر تراجعاً في استخدام الأدوات الثقيلة، لتختفي القواطع، والفؤوس اليدويّة بشكل كامل، وتحل مكانها الأدوات الخفيفة المصنعة على الشظايا، أهمها المقحف ذو الأشكال المتعددة، والذي أصبح أداة العصر الرئيسة، كما كان الفأس اليدوي في العصر السابق، إذ انتقل إنسان هذا العصر في تصنيع أدواته من مبدأ التشكيل الذي كان سائداً في الثقافة الآشولية إلى مبدأ التقصيب (Débitage)، وهو عملية تجزيء المادة الأولية، للحصول على أجزاء أو قطع عديدة واستخدامها. الهدف الأساس هنا، أنّ الأجزاء المنفصلة عن القالب أو جسم الكتلة،

على خلاف التشكيل، الذي يكون فيه القالب هو الهدف الأساس (Tixier.J et al 1999: 25)

بلغ عدد الأدوات على الشظايا، في وادي الخوابي ٩٣ أداة، أي ما يقارب ٦٤.٥٨% من إجمالي أدوات الثقافة اللفلوزية – الموستيرية، وقد هيمنت المقاحف (Sidescraper) إلى جانب الشظايا (Flake) على أدوات الشظايا، بينما توزعت باقي الأدوات مابين الرؤوس اللفلوازية (Levalloisian Point)، والسكاكين (Knives)، والنصال (Blade)، والمثاقب (Borer) ذات العدد الأقل.

١- المقاحف

وجدت في موقع وادي الخوابي أشكال عديدة من المقاحف، وبلغت نسبتها ٢٦,١٧% من إجمالي الأدوات المصنعة على شظايا، وقد تنوعت مابين المقاحف البسيطة المستقيمة والمقعرة، والمزدوجة، والمستعرضة والعرضانية، وكذلك المقاحف المتحدة الاتجاه، مع هيمنة واضحة للمقاحف البسيطة المحدبة Single Convex Sidescraper الشكل (٤)، والمزدوجة المحدبة Double Convex Sidescraper، بحيث جاءت القاعدة متعددة الأوجه في بعضها، نتيجة عملية التحضير المتكررة لسطح الطرق، بينما كانت ملساء في غالبية المقاحف، وقد تميزت جميعها بتشذيب مسطح، نتيجة استخدام المطرقة الطرية في التشذيب، باستثناء ٤ مقاحف حملت تشذيباً شبه متوازٍ، وبلغ متوسط أبعادها (٧.٤ × ٥.٦ × ١.٢ سم) (القاسم ٢٠١٣م: ١١١)، ظهر على بعض المقاحف كمخة، تباينت ألوانها مابين الأبيض والرمادي، ولكن غالبيتها بيضاء اللون، حالت دون معرفة اتجاه الطرق في عدد منها، بينما في العدد الأكبر جاءت ثنائية اتجاه الطرق.

٢- الرؤوس اللفلوازية

وجد في وادي الخوابي ١٥ رأساً لفلوازياً، أي ما يعادل ١٦,١٢% من إجمالي الأدوات المصنعة على شظايا، توزعت مابين رؤوس لفلوازية وعددها (٤) الشكل (٥)، ورؤوس لفلوازية مشذبة وعددها (٦)، ورؤوس لفلوازية كاذبة وعددها (٥). وجميعها جاءت أحادية اتجاه الطرق، باستثناء رأسين، كانا ثنائيي اتجاه الطرق، وقد غلبت على هذه الرؤوس القاعدة الملساء، كما جاءت متعددة الأوجه في ٤ رؤوس، نتيجة التحضير لسطح الطرق، بينما مُيز رأسان بقاعدة، ذات شكل قبعة الدركي (Chapeau degendarme)، الذي ينتج عن التحضير الشائع جداً لسطح الطرق، وقد بلغ متوسط أبعادها (٦.٢ × ٤.٣ × ٠.٩٢ سم) (القاسم ٢٠١٣م: ١٠١).

٣- الشظايا

شكلت الشظايا، النسبة الأكبر بين أدوات الثقافة اللفلوازية – الموستيرية ٣٠,٨٠% من إجمالي العدد الكلي، وقد توزعت مابين شظايا قشرية، ناتجة عن الضربة الأولى للنواة، ولفلوازية نموذجية، وقشرية، وشظايا نصائلية.

ظهرت الشظايا اللفلوازية **Levalloisian Flake** واللفلوازية النموذجية **Typical Levalloisian Flake** في الغالب، بيضوية الشكل، بعضها ذات حواف مكسورة، وأحادية اتجاه الطرق، بمتوسط أبعاد (٩.١ × ٥.٥× ١.٤سم)، القاعدة في هذه الشظايا، مكسورة في الغالب، أما

غير المكسورة، فقد كانت القاعدة فيها ملساء.

إضافة إلى الشظايا اللفلوازية المذكورة، فقد تم تمييز شظايا زاحفة Plunging flakes، وهي ناتجة عن تحضير سطح الطرق، وأحياناً تنتج عند تنظيف سطح الطرق من مشكلات ظاهرة عليه أيضاً، مثل الانعكاسات• التي تمنع الطارق من عملية التقصيب (Tixier.J 1999: 35)، إلى جانب الشظايا الزاحفة، ظهرت الشظايا النصائلية، وهي عبارة عن شظية متطاولة نوعاً ما، لا تصل لأن تكون نصلة، وتظهر أثناء عملية التقصيب، أي: عند تحضير سطح الطرق، أو تقصيب نظامي من أجل إنتاج شظايا أو نصال وتحويلها إلى أدوات (Tixier.J 1999: 36)، كما لعبت السكاكين، سواء أكانت مظهرة **Backed Knives**، أم بظهر طبيعي **Naturally Backed Knives**، دوراً مهماً بين الأدوات، وشكلت 3,14% من الأدوات. إضافةً إلى الأدوات السابقة، فقد حمل موقع وادي الخوابي، العديد من الأدوات الأخرى مثل المثاقب الشكل (٦)، وقد بلغت نسبتها بين أدوات الشظايا ١,٢٢%، أما النصال ٣,١٢%.

٤- النوى

النواة عبارة عن فضلات ناتجة عن عملية تصنيع الأدوات الحجرية (Debitag)، وكذلك نيغاتف للشظايا، التي تمت إزالتها عند عملية التصنيع، كما أنّ الشظية يمكن أن تستخدم كنواة في حال تم انتقاؤها واستخدامها لاستخراج شظية أخرى، وتحويلها إلى أداة (القاضي ٢٠١٤م: ٦). وقد وُجدت النوى في موقع وادي الخوابي بكثرة، حيث لوحظ انتشار الكتل الصوانية بشكل كبير في الموقع، ويمكن تفسير ذلك بأنه كان عبارة عن موقع لطرق الأدوات الحجرية أو عبارة عن مقلع صوان قصده إنسان ماقبل التاريخ للحصول على خاماته الأولية التي يحتاجها في تصنيع أدواته، إذ بلغت نسبتها ٢٧,٠٨% من إجمالي الأدوات.

جاءت النوى اللفلوازية – الموستيرية ذات العدد الأكبر بين مجموع النوى، وتميزت غالبيتها بإنتاجها الشظايا، كما جاء أغلبها باتجاه طرق مركزي، وبعضها ثنائي اتجاه الطرق، في حين أنّ بعضها الآخر أحادية اتجاه الطرق، كما ظهر العدد الأكبر بينها، بكونها مسطحة الوجه، ومحدبة الآخر، بمتوسط أبعاد (٨,١ × ٧,٤× ٢,٩ سم) (القاسم ٢٠١٣: ١٣١).

سيطرت النوى اللفلوازية الكلاسيكية Classic Levalloisian Core لإنتاج الشظايا على العدد الكلي، وهي ذات اتجاه طرق مركزي من المحيط باتجاه المركز، الهدف منها إنتاج شظايا بشكل متعمد، ذات أشكال محددة بوضوح، والفضل يعود الى عملية إعداد الشكل المناسب للنواة. بعضها مسطحة الوجهين plano-plane وفي الغالب مسطحة الوجه، ومحدبة الوجه الآخر plano-convex، متوسط أبعادها (٧.٦ × ٧.٤ × ٢.٩ سم). جاءت النوى اللفلوازيّة Levalloisian Core إلى جانب النوى اللفلوازية الكلاسيكية في المرتبة الثانية من حيث عدد النوى، وفي غالبيتها

• أحياناً عند محاولة الطرق وعدم استخراج الشظية يظهر على سطح الطرق هبوطات صغيرة، وبهذه الحالة لابدّ من إزالة هذه الهبوطات من خلال استخراج شظية كبيرة من أجل خلق سطح طرق جديد، حيث تنتج الشظية الزاحفة، ويمكن تسمية هذه العملية بتنظيف سطح الطرق (J. Tixier 1999).

نوى لإنتاج الرؤوس اللفلوازية الشكل (٧)، حيث بلغ متوسط أبعادها (٧,٦ × ٦,٧ × ٢,٦ سم). وقد ظهرت مسطحة الوجه ومحدبة الوجه الآخر في أغلبها، ومسطحة الوجهين في نواتين. أما بالنسبة لاتجاه الطرق، فقد سيطرت النوى ثنائية اتجاه الطرق على إجمالي العدد، بينما باقي النوى كانت غير واضحة اتجاه الطرق، بسبب وجود طبقة كمخة، حالت دون التأكد من اتجاه الطرف فيها.

المناقشة

إن اكتشاف موقع وادي الخوابي جنوب درعا، ودراسة أدواته الحجريّة، أغنت لائحة مواقع العصر الحجري القديم المنتشرة في سوريّة بمواقع جديدة، كما أنّها شكّت نقطة انطلاق أساسيّة لأبحاث ودراسات عصور ما قبل التاريخ في منطقة درعا، حيث ساعدت في التعرف على الصناعات الحجريّة خلال العصر الحجري القديم، ضمن منطقة خلت من مثل تلك الدراسات، إذ يمكن القول أن دراسة الصناعات الحجريّة جنوب درعا، هي أولى الدراسات المختصة بأدوات العصر الحجري القديم في منطقة شديدة الفقر بدراسات عصور ما قبل التاريخ ، كما يمكن اعتبارها خطوة أولى للخوض في تعريف المنطقة، كوضع تسلسل زمني واضح لها في وقتٍ غابت عنه حتى هذه الخطوة على الرغم من ذكرها سابقاً في ثمانينات القرن الماضي من قبل الدكتور سلطان محيسن.

لقد برزت الثقافة الآشولية في وادي الخوابي بشكل واضح، حيث انتشرت هذه الثقافة في العديد من مواقع المشرق العربي، أهمها موقع اللطامنة على العاصي (Clark 1966)، وموقع الميرا في البادية السوريّة(Boëda et al 2004: 166) ، وموقع جسر بنات يعقوب في الجولان السوري (Yosef.B 1994: 241) ، وكذلك مواقع جب جنين في وادي الليطاني في لبنان Besancon et al 1982 : 22)، وموقع عين الأسد ووادي العوينات في الأردن (Rollefson 1980: 130)، وبالرجوع إلى النمط الذي تنسب إليه فؤوس الآشولي الأوسط في واي الخوابي، فقد تبيّن أنها تشابه فؤوس اللطامنة على العاصي (نموذج اللطامنة) (كلارك ١٩٦٦م: ٣٢).

تعدّ ثقافة الآشولي الأعلى، الأكثر انتشاراً بين مواقع الباليوليت في المشرق العربي، إذ وجدت على رقعة واسعة من سوريّة، ابتداءً من النهر الكبير الشمالي وحوض العاصي ومناطق الساحل، وصولاً إلى البادية السوريّة وانتهاء بالمناطق الجنوبية في وادي الخوابي، فكان موقع القرماشي على العاصي من أهم المواقع التي احتوت صناعة هذه الثقافة (محيسن ١٩٨٩م: ١٠٥)، والندوية في منطقة الكوم في البادية السوريّة (Le Tensorer 2006 :18) والجرابيات على العاصي (محيسن ١٩٨٩م: ١١٧)، وموقع يبرود (الطبقة ٢٤-١٢) (محيسن ١٩٨٩: ١١٨)، وموقع بركة رام في مرتفعات الجولان السوري المحتل (أبو غنيمة ٢٠٠٩م: ٥٨) ، وموقع السمرا في حوض الأزرق، وموقع الفجيج ، وعين الأسد إلى الجنوب الغربي من الأزرق شمال الأردن (Rollefson 1981: 18). وجميع هذه المواقع لا تبعد سوى بضعة كيلومترات عن موقع وادي الخوابي، الذي أظهر انتشاراً كثيفاً للصناعات الحجرية وخاصة الآشولية منها.

إضافةً إلى الثقافة الآشولية، فقد حازت أدوات الثقافة اللفلوازية – الموستيرية على حيز كبير بين

أدوات وادي الخوابي، حيث نُسبت إلى مابين المرحلتين C و B، أي المرحلتين الثانية والثالثة من الطابون، نتيجةً لهيمنة الشظايا ذات الشكل البيضويّ. وكذلك المقاحف المختلفة الأشكال، فمنه ما هو ذو حافة مستقيمة، ومنه ما هو ذو حافة محدبة أو مقعرة، ومنه ما هو مزدوج الحواف أو متحد الاتجاه، كما وجدت الرؤوس والنصال اللفلوازيّة، والسكاكين ذات الظهر الطبيعي أو المظهرة، وكذلك النوى ذات التحضير المركزي وأحادية اتجاه الطرق (القاسم ٢٠١٣م: ١٣٦). ونرى أنّ أهم طبقات كهف الديدريّة، الطبقتان اللتان وُجد فيهما بقايا هياكل عظمية لطفلين، احتوت أدوات نُسبت إلى مابين المرحلتين B-C من الطابون (محيسن. اكازاوا ٢٠٠٢م: ١٢)، ومن المواقع الأقرب جغرافياً إلى وادي الخوابي، موقع الراصفة الواقع شمال غرب الأردن، إذ نسبت أدوات الثقافة اللفلوزاية – الموستيرية فيه إلى مابين المرحلة الأولى من الطابون D والمرحلتين الثانية والثالثة B-C (Shea 1998: 75).

جاء هذا البحث بدلائل جديدة، فقد أظهر غنى المنطقة الجنوبية من سورية بمواقع عصور ماقبل التاريخ، التي بقيت وعلى مدى طويل من الزمن خارج حيز اهتمام ودراسات الباحثين، على الرغم من كونها إحدى البوابات الرئيسة، التي انتقل عبرها الإنسان القديم إلى شمال ووسط سوريا، تاركاً خلفه العديد من الشواهد التي طُمر جزء منها نتيجة الحمم البركانية، التي تعرضت لها المنطقة مع مرور الزمن.

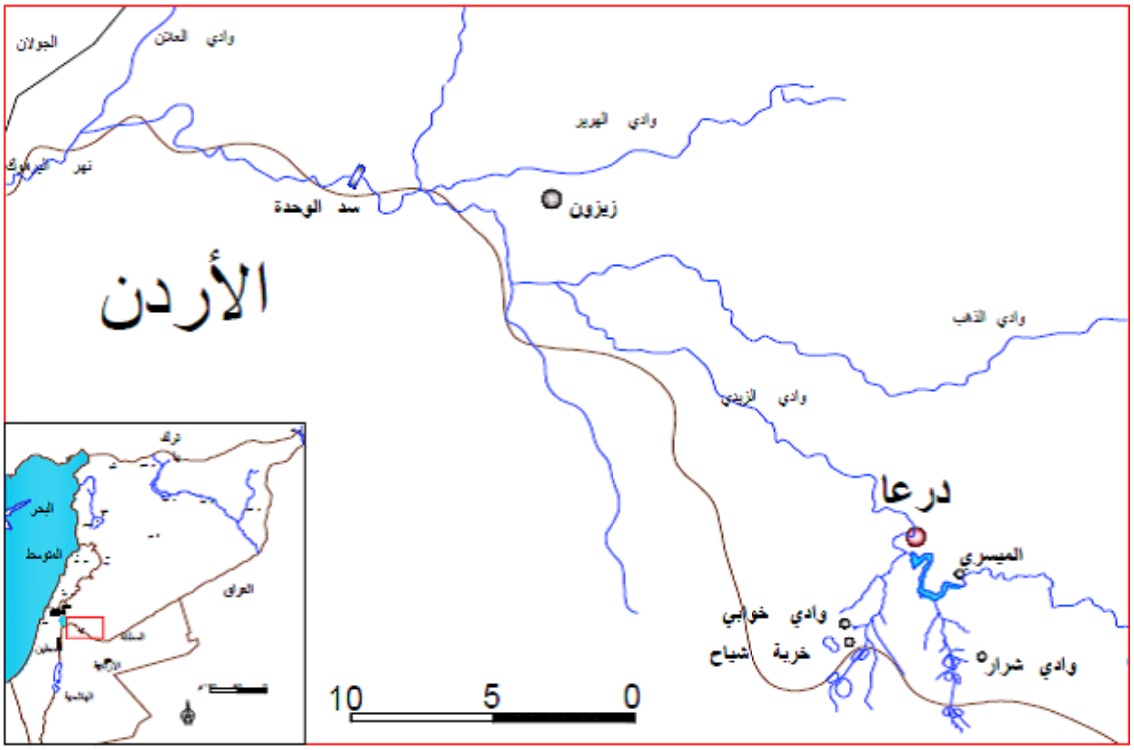

الخريطة (١) موقع وادي الخوابي، عن القاسم ٢٠١٣م : ١٥٦

الصورة (١) موقع وادي الخوابي، (عن البعثة ٢٠١٠م)

الصورة (٢) كثافة الصوان في وادي الخوابي، (عن البعثة ٢٠١٠م)

الصورة (٣) الكمخة على أدوات دادي الخوابي (بعدسة الباحثة)

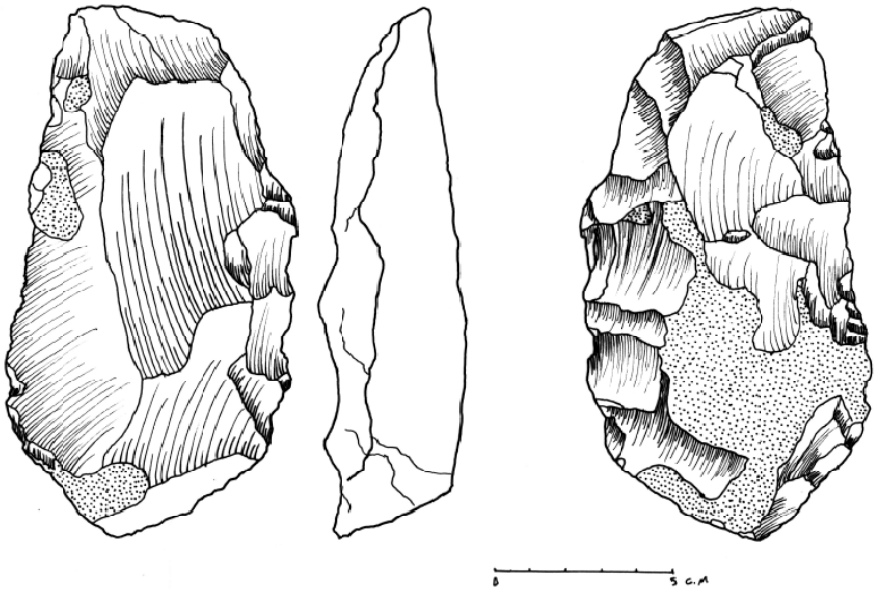

الشكل (١) فأس يدوي متطاول نموذج اللطامنة (وادي الخوابي) عن القاسم ٢٠١٣م:185

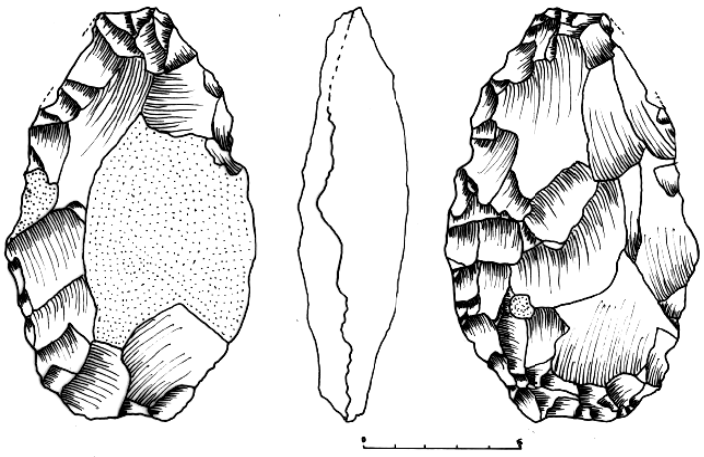

الشكل (٢) فأس يدوي بيضوي الشكل متطاول (وادي الخوابي) عن القاسم ٢٠١٣م: ١٨٩

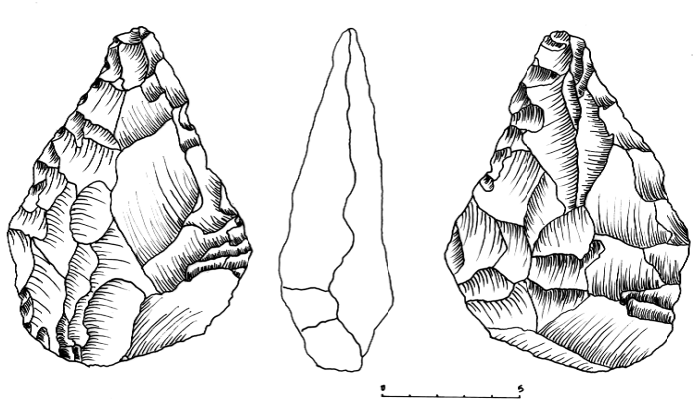

الشكل (٣) فأس لوزي الشكل (وادي الخوابي) عن القاسم ٢٠١٣م: ١٩٤

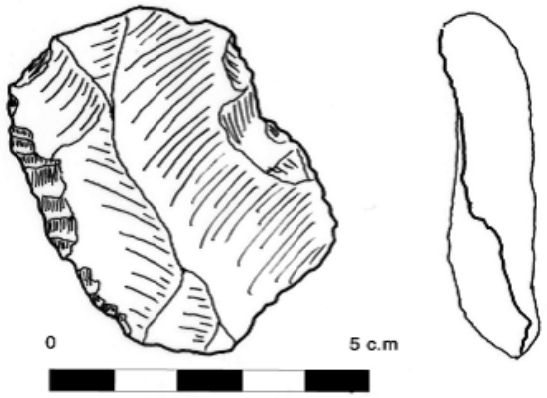

الشكل (٤) مقحف بسيط محدب (وادي الخوابي)، عن القاسم ٢٠١٣م: ٢٠١

الشكل (٥) رأس لفلوازي، عن القاسم ٢٠١٣م: ٢٠٥

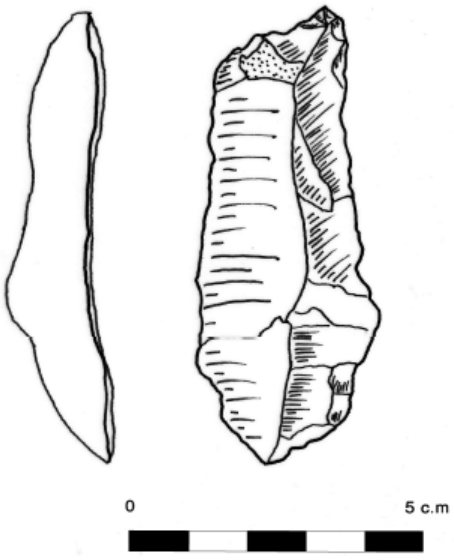

الشكل (٦) مثقب بزاوية على نصلة (وادي الخوابي)، عن القاسم ٣٠١٣م: ٢٣٤

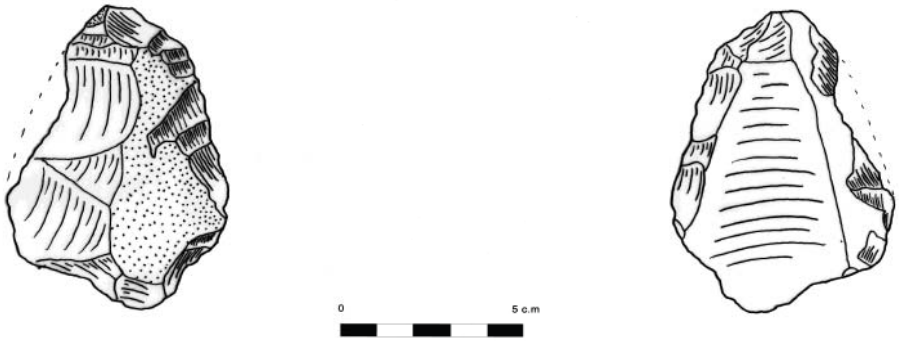

الشكل (٧) نوى لفلوازية لإنتاج الرؤوس (وادي الخوابي)، عن القاسم ٢٠١٣م: ٢٣٩

المراجع والمصادر

المراجع العربية

- أحمد دياب(٢٠١١م) : **دراسة الأدوات الحجريّة لمواقع عصور ماقبل التاريخ في درعا جنوب سوريا**، دراسات تاريخية العددان ١١٥-١١٦، دمشق، ص١٣.
- أنطوان سليمان. قاسم المحمد. محمد الرفاعي (٢٠٠٢م): **التقرير الأولي لنتائج المسح الآثري الميداني لمنطقة الغمر لسد الوحدة في وادي اليرموك**، دائرة آثار درعا، تقرير غير منشور، ص١- ١٢، ص٢.
- أمجد القاضي (٢٠١٤م): **الأحجار في عصور ماقبل التاريخ**، موسوعة الآثار في سورية، مجلد١، دمشق، ص ٢٢١-٢٢٤، ص ٢٢٢.
- أمجد القاضي (٢٠١٤م): **تقنيات تصنيع الأدوات الحجرية**، موسوعة الآثار في سورية، ص٦.
- أمل القاسم (٢٠١٣م): **مواقع العصر الحجري القديم جنوب درعا**، أطروحة لنيل درجة الماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، ص٧٦
- أمل القاسم: **ثقافة الآشولي الأعلى جنوب درعا**، مجلة دراسات تاريخية، دمشق،قيد النشر، ص١١.
- ديزموند كلارك (١٩٦٦م): **موقع سكني من الطور الآشولي الأوسط في اللطامنة - سوريا الشمالية**، ترجمة هشام الصفدي، الحوليّات الأثريّة العربيّة السوريّة، مجلد١٦، ص ٣٢.
- سلطان محيسن (١٩٨٩م): **بلاد الشام في عصور ماقبل التاريخ (الصيادون الأوائل)**، دمشق، ص٩٧.
- سلطان محيسن (١٩٩٧م): **آثار عصور ما قبل التاريخ في سوريّة الجنوبية (محافظتا السويداء ودرعا)**، الحوليّات الأثريّة العربيّة السوريّة، مجلد٤١، دمشق، ص٤٣- ٤٦،ص٤٥.
- سلطان محيسن وتاكيرو أكازاوا (٢٠٠٢م): **مكتشفات متميزة من عصور ما قبل التاريخ في منطقة عفرين بسوريّة**، أدوماتو، العدد ٥، ص٧-٢٢، ص ٨.
- عادل عبد السلام (١٩٩٠م): **الأقاليم الجغرافية السورية**، دمشق، ص ٣٢٩.

- فرانسوا بورد (٢٠٠٩م): **نمطية أدوات العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط**، ترجمة خالد أبو غنيمة. بسام جاموس، ط١، دمشق، ص٥٨
- ياسر أبو نقطة: **تقرير أولي عن نتائج أعمال التنقيب في موقع الميسري**، دائرة آثار درعا، تقرير غير منشورص٥.

المراجع الأجنبية

- Bar-Yosef O.(1994);**The Lower Paleolithic of the Near East**, Journal of World Prehistory, Vol.8, N.3.p241
- Boëda .E, Courty M.A., Fédoroff.N., Griggo.C, Hedley.I.G. et Muhesen.S (2004); **Le site acheuléen d' El Meirah**, Syrie. BAR 1263,p166.
- Besancon.J, Copeland.L, Hours.F (1982); **L'Acheuléen moyen de Joubb Jannine (Liban)**, Paléorient, Vol. 8 N°1,p22.
- Clark.D(1966); **The Middle Acheulian occupation site at Latamne, Northern Syria**, AAAS, Vol 16.
- Copeland.L(1975) : **The Middle and Upper Paleolithic of Lebanon and Syria**; IN F.Wendorf, A.Marks, Problems in Prehistory : North Africa and the Levant. Dallas. -Cauvin.M.C; **Une Station de tradition Natoufienne dans le Hauran (Syria) Taibe, pres de Deraa**, AAAS, 1973 Vol 23, p106.
- Hours.F(1980): **Le Paléolithique Inférieur de la Syrie et du Liban le Point de la Question en**, p169.
- Inizan. M.L, Reduron Ballinger. M,Roche. H,Tixier.J(1999);**Technology and Terminology of Knapped stone**, translated by J.Feblot Augustins.p٢٥
- Le Tensorer J. M, Muhesen.S, Schmid.P(2006) ; **Research on The Paleolithic of The El Kowm Area –Syria-**, project of the Institute for Prehistory and Archaeological Science University of Basel, Switzerland, p.18.
- Rollefson. G. O (1980); **The Paleolithic industries of Ain El Assad (Lion′s spring), near Azraq, eastern Jordan**, Annul, Vol 24,pp129 144.p130.
- Rollefson. G. O (1981);**The Late Acheulean Site at Fjaje, Wadi el Bustan, Southern Jordan** ,Paléorient, Vol. 7 N°1. pp. 5 21,p18
- Shea. J (1998); **Ar RasfaA Levantine Mousterian Site from Northwest Jordan a Preliminary Report**, Paléorient, Vol. 24 N°2. p75.

Al Khawaby Valley- A New Site Dated to Prehistory South of Syria

Amal Al-Qasim*

ABSTRACT

This research deals with a Typological and technical study of a collection of the stone tools discovered later in Al-Khawaby Valley on the Syrian-Jordanian border in the south of Syria. Through this study, it was clear to distinguish most important stone productions dated to Paleolithic, which the region witnessed through ages. Till present time, studies deal with prehistory in the southern region in Syria is very poor, so it will be an initial step to work in putting an obvious chronology and presenting a production about the region. By comparison with sites in the north and in the north-east of Jordan, which geographically neighbor site of Al-Khawaby Valley, the research also shows importance of this region as one of the main gates, from which the ancient man moved to north and middle Syria, after leaving many of the evidences, of which some were buried with the volcanic lava, which affected the region in the old times.

KEYWORDS: Al-khawaby Valley, Paleolithic, Typological and technical study.

* The Directorate General of Antiquities and Museums, Syria.
Received on 4/9/2014 and accepted for publication on 4/6/2015.